الحج في الأدب العربي

الحج في الأدب العربي

ولـمَّـا بـدا ميقـاتُ إحـرامِ حَجِّنـا
نزلنـا بـه والْعِيـسَ فيـه أنحْنَـاهُ
لِيغْتَسِـلَ الحُجَّـاجُ فيـه ويُحْرمـوا
فمنـه نُـلبّـي ربَّنـا لا حُرِمنـاهُ
ونـادى مُنـادٍ للحجيـج لِيُحْرمُـوا
فلـم يَبْـقَ إلاّ مَـن أجـاب ولبّـاهُ
وجُـرّدتِ القِمْصـانُ والـكلُّ أحرموا
ولا لُبـسَ لا طيـب جميعـاً هَجَرناهُ
ولا لهـوَ لا صيـدٌ ولانَقْـرَبُ النِّسـا
ولا رَفْـثَ لا فِسـقٌ كُلاًّ رَفضْنـاهُ
وصِرنـاَ كأمـواتٍ لَفَفْنا جُسـومَنا
بأكـفانِنـا كلٌّ ذليـلٌ لمـولاهُ
لعـلَّ يَـرى ذُلَّ العِبـادِ وكَسْـرَهُم
فَيَرْحَمُهُـمْ ربٌّ يُرَجُّـونَ رُحْمـاهُ
يُنادُونَـهُ لَبَّيْـكَ لَبَّيْـكَ ذَا الْـعُـلاَ

وسَــعْدَيْكَ كُلَّ الشِّركِ عَنْكَ نَفَيْناهُ
فَلــو كُنْتَ يَا هــذا تُشَــاهِدُ حَالَهُمْ
لأَبْــكَاكَ ذاكَ الْحــالُ فـي حــالِ مَرْآهُ
وُجُوهُهُــم غُبْــرٌ وَشُــعْثٌ رُؤُسُــهُمْ
فَــلا رَأسَ إلا لِلإِلَــهِ كَشَــفْنــاهُ
لبســنا دروعــاً مــن خضــوع لربنــا
وَمَــا كَانَ مِنْ دِرْعِ المعاصِــي خَلَعْناهُ
وَذَاكَ قَليــلٌ فــي كَثيــرِ ذُنوبِنَــا
فَيــا طَالَمَــا رَبَّ الْعِبــادِ عَصيْنــاهُ
إلــى زَمْــزَمٍ زُمَّــتْ رِكابُ مَطيِّنــا
ونَحْوَ الصَّفا عِيسَ الْوُفودِ صَفَفْناهُ
نَــؤُمُّ مَــقَامــاً لِــلْخَلِيــلِ مُعَظَّماً
إلَيْــهِ اسْــتَبَــقْــنَا وَالــرِّكَابَ حَثَثْناهُ
وَنَحْــنُ نُلَبِّــي فــي صُعُــودٍ وَمَهْبَطٍ
كَــذا حَــالُــنَا فــي كِلِّ مَرْقىً رَقَيْناهُ
وَكَــمْ نَشَــزٍ عَــالٍ عَلَتْــهُ وُفُودُنــا
وَتَعْلُــو بــهِ الأصْــواتُ حِــينَ عَلَوْناهُ
نَحُــجُّ لِبَيْتٍ حَجَّــهُ الــرُّسْــلُ قَبْلَنَا

لِنَشْـهَدَ نَـفْعـاً في الْكِتَابِ وُعِدْناهُ

دَعَـانَـا إلَـيْـهِ اللّٰهُ قَـبْـلَ بـنَائِـهِ

فَـقُلْـنَـا لَـهُ لَـبَّيْـكَ دَاعٍ أجَـبْنَـاهُ

أتَـيْـنَـاكَ لَبَّـيْـنَـاكَ جِـئْـنَـاكَ رَبَّـنَـا

إلَـيْـكَ هَـربْـنَـا وَالأنَـامَ تَـرَكْـنَـاهُ

وَوَجْـهَـكَ نَبْغِي أنْـتَ لِلْقَلْـبِ قِبْلَةٌ

إذَا مَـا حَجَجْـنَا أنْـتَ لِلْحَجِّ رُمْنـاهُ

فَمَاالْبَيْتُ مَاالأركانُ مَاالحِجْرُ مَاالصَّفا

وَمَـا زَمْـزَمٌ أنْتَ الَّـذِي قَـدْ قَصَدْناهُ

وَأنْـتَ مُنَانَـا أنْـتَ غَـايَةُ سُـؤْلِـنَـا

وَأنْـتَ الَّـذي دُنيـا وَأخْـرى أرَدْنـاهُ

إلَيْـكَ شَـدَدْنا الرَّحْلَ نَخْتَـرِقُ الْفَلا

فَكَمْ سُدَّ سَدٌّ في سَـوادٍ خَرَقْنـاهُ

كَـذَلِـكَ مَا زِلْنَـا نُحَـاوِلُ سَـيْـرَنـا

نَهَـاراً ولَيْـلاً عِيسَـنـا مَـا أرَحْنـاهُ

إلَـى أنْ بَدَاإحْـدَى الْمَعَالِـمِ مِنْ مِنَى

وهَبَّ نَسِـيمٌ بـالْوِصَـالِ نَشِـقْنـاهُ

ونَـادَى بـنَا حَـادِي الْبشَـارَةِ وَالْهَنَا

فَهَـــذَا الْحِمـى هَذَا ثَراهُ غَشَـيْنَـاهُ
ومَـا زَالَ وَفْـدُ اللّهِ يَقْصِـدُ مَكَّـةَ
إلَـى أنْ بَـدَا الْبَيْتُ الْعَتِيـقُ و رُكنَاهُ
فَضَجَّتْ ضُيُوفُ اللّهِ بالذِّكْرِ والدُّعا
وكَبَّـرَتِ الْحُجَّـاجُ حِـينَ رَأيْنـاهُ
وقَـدْ كَادَتِ الأرْوَاحُ تَزْهَـقُ فَرْحَـةً
لِمَا نَحْنُ مِنْ عُظْمِ السُّـرورِ وَجَدْناهُ...

زيارة النبي صلى الله عليه وآله

ومـن بعد مـا طُفْنَا طـوافَ وداعنا
رحلنـا لمغنـى المصطفـى ومُصَلاَّه
و واللّه لـو أنّ الأسـنة أشـرعت
وقامـت حـروب دونـه ماتركنـاه
وربِّ الـورى لـولا محمـدُ لـم نكن
لطيبـةَ نسـعىَ والركابَ شَـددْناه
ولـولاه ما اشْـتَـقْنَا العقيقَ ولا قُبا

ولــولاه لــم نَهْــوَ المدينــةَ لــولاه
ومــا مكــة والخيف قل لــي ولا منى
ومــا عرفــات قبــل شــرعٍ أرانــاه
بــه شــرُفَتْ تلــك الأماكــن كلُّهــا
وربُّــك قــد خــصَّ الحبيــبَ وأعطاه
شــممنا نسيماً جاء من نحو طيبةٍ
فأهلاً وســهلاً يا نســيماً شممناه
فقــد مُلِئَــت منــا القلوبُ مســرَّةً
وأيُ ســرورٍ مثــل مــا قــد ســررناه
وقفنــا وســلّمنا عليــه و إنــه
لَيَسْــمَعُنَا مــن غير شــكٍ، فديناه
وزرنــا قبــا حبّــاً لأحمــد إذ مشــى
عســى قدماً يخطو مقاماً تخطَّاه
لنبعــث يــوم البعــث تحــت لوائــه
إذا اللّهُ مــن تلــك الأماكــن نــاداه
وزرنــا مــزارات البقيــع فليتنــا
هنــاك دُفِنَّــا والممــات رُزقْنــاه
وحمــزةُ زرنــاه ومــن كان حولــه

شـــهيداً و اُحْـــداً بالعيون شـــهدناه
ولمـــا بلغنـــا مـــن زيـــارة أحمـــد
مُنانـــا حَمِدْنـــا ربَّنـــا وشـــكرناه
وقمنـــا نـــؤمُّ المصطفـــى لوداعـــه
ولا دمـــعَ إلا للـــوداع صببنـــاه
فـــوا حســـرتاه مـــن وداع محمـــد
وأوَّاه مـــن يـــوم التفـــرق أوَّاه
عســـى الله يُدنينـــي لأحمـــد ثانيـــاً
فيـــا حبـــذا قـــربُ الحبيـــب ومَدْنـــاه
فيـــاربِّ فارزقنـــي لمغنـــاه عـــودةً
تُضاعـــف لنا فيـــه الثـــوابَ وترضاه
رحلنـــا وخلَّفْنـــا لديـــه قلوبَنـــا
فكم جســـد مـــن غير قلـــبٍ قلَبناه
فيـــا نعمـــةً لله لســـنا بشـــكرها
نقـــومُ ولـــو مـــاءَ البحـــورِ مدَدْنـــاه
فنَحْمَـــدُ ربَّ العـــرشِ إذ كان حجُّنـــا
بـــزَوْرَةِ مَـــنْ كان الختـــامَ ختَمْنـــاه
عليك ســـلامُ الله مادامت الســـماء

سـلامٌ كما يَبْغَـى الإلـهُ ويَرْضاه[1]

* * *

أيُّهَـا الـرَّاكـبُ الْمُجِـدُّ ابْتِـكارا
قَـدْ قَضَـى مِـنْ تُهَامَـة الأوْطَـارا
مَـنْ يَكُنْ قَلْبُـهُ صَحيحاً سَـليـمِا
فَفُـؤادِي بـالْخَيْـفِ أمْسَـى مُعَـارا
لَيْـتَ ذَا الدَّهْـرِ كَانَ حَتْمـاً عَلَيْنـا
كُـلَّ يـوْمَـيْنِ حَجَّـةٌ وَاعتمـارا

* * *

إذا حَجَجْـتَ بمـالٍ أصلـه دَنـس
فماحججـت ولكـن حَجَّـتِ العيرُ
لايـقبـلُ اللّهُ إلا كـلَّ طـيبـةٍ
مـا كلُّ مَـن حـجَّ بيـتَ اللّهِ مبرورُ

* * *

١. مثير الغرام إلى طيبة والبلد الحرام ، للصنعاني : ١٨ـ ٢١، ٤٥، ٤٦؛ دار العقيـدة للـتراث، الإسكندرية، مصر.